

نبيه أمين فارس

## الأعمال الكاملة للدكتور نبيه أمين فارس

(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨). ١١٢٠ ص.

رياض زكي قاسم(\*)

باحث في الفكر العربي.

العربية، لغرض هذا الإصدار المميز.

### - ١ -

قدّم للكتاب د. محمود حدّاد، الذي عمل، أيضاً، على توفير المواد البحثية، وترجمة ما كتب بالإنكليزية، عدا اهتمامه الأكاديمي بالمشروع، ودفعه إلى دائرة النور.

### - ٢ -

بكثير من التبصّر بواقع الأمة العربية، واستلهام تاريخها، رغبةً في رسم خارطة طريق المستقبل، لما قد يُقيلها من عثارها، ويُرسّي قدراتها على قاعدة الاستقلال، لا التبعية - كتب نبيه أمين فارس، على مدى ربع قرن، وبتواصل مفعم بالحماس لمعتقده القومي، في العروبة، والتقدم، والتحرر، والاتحاد، والنهضة، والعلمانية، وقضية فلسطين، والإسلام، فكان منشغلاً حتى

في إطار ما يقوم به مركز دراسات الوحدة العربية، من نشر الأعمال الكاملة للمفكرين القوميين العرب، ممّن أسهموا، عبر كتاباتهم، بتكوين مفاهيم التحرر والوحدة والقومية... صدرت الأعمال الكاملة للدكتور نبيه أمين فارس (١٩٠٦ - ١٩٦٨) في مجلد واحد، استغرق في قسمه الأول الكتب الخمسة: العرب الأحياء [١٩٤٧]، غيوم عربية [١٩٥٠]، من الزاوية العربية [١٩٥٣]، هذا العالم العربي [١٩٥٣]<sup>(١)</sup>، دراسات عربية [١٩٥٧]، وأدرجت في القسم الثاني، منه: البحوث والمقالات الإسلامية، وفي القسم الثالث: البحوث والمقالات في الشؤون اللبنانية، وضمناً ما كان قد نُشر، أصلاً، باللغة الإنكليزية، ثم تُرجم إلى

نص على جِدّة. بمعنى أن قراءة هذه الأعمال تستوجب، أولاً، الطريقة العمودية كيما نَقْدَر للكاتب ما كتب، أو ما اتخذ من مواقف، فهو ابن مؤثرات فاعلة، وحركية دائبة، تمرور بالمتغيّرات والتحوّلات الدراماتيكية، وتستوجب قراءة هذه الأعمال، ثانياً، الطريقة الأفقية، لتعقّب المفاهيم الأساسية، إرادة لحظ مسارها التطوري، جرّاء المؤثرات الفاعلة.

### - ٣ -

يحظى مفهوم العروبة بعناية المؤلّف، فيوليه اهتماماً تاريخياً، ونظرةً اجتهادية في استخلاص التعريف وتحديد المقوّمات. وهو في ما قدّمه من بحث مركّز لهذا المفهوم، يكاد يكون واحداً من قلة، تصدّوا لهذا المصطلح، وقدّموا جديداً أكاديمياً<sup>(٢)</sup>. ولعلّ هذا يتعلّق بعقلية الباحث؛ فالعروبة - بنظره - تمتد إلى أبعاد التاريخ، وقد دخلت فيها لغات كثيرة، وشعوب وبلاد كثيرة، ودخلت فيها حضارات. وكان لهذا أن تأثرت بالإسلام، فمهرها بطابعه التكويني، دون أن يعني ذلك اندغام العروبة والدين في أقنوم واحد، فالتمييز بينهما - برأي المؤلّف - ضرورة «مجاراةً للتاريخ والواقع والحقيقة» (ص ٨٣٣).

فالدّين «ليس من أركان العروبة، لا، ولم يكن يوماً من أركانها. أقول هذا مع

الشغف بالفكر القومي، انطلاقاً من عقلية المؤرّخ، ناهجاً، في كتاباته، تتبّع الوقائع، مستنداً إلى ثقافة متنوعة، غنية مادةً ومنهجاً، أثّرت أعماله أيّما إثراء، من حيث الانفتاح على الثقافات الشرقية والغربية، والتحرر من أحادية النظرة، والبراعة في اتخاذ المقارنات سبيلاً إلى استخلاص النتائج.

وفي هذه الأعمال الكاملة.. كثير من المفاهيم والمواقف والآراء والاتجاهات، وهي تشكّل في مجملها فكر هذا المؤلّف الذي عاش مناخات فكرية عدّة، لعل أبرزها نكبة فلسطين وما استنبتت من دراسات، ونشوء حزب البعث، ثم حركة القوميين العرب، والمدّ القومي في زمن الرئيس عبد الناصر، ومشاريع الوحدة أو الاتحاد، التي ما تكاد تبصر النور حتى تعود إلى سابق العهد؛ القطري، والتفتيتي، والصراع على السلطة، مع ما رافق ذلك من تعثر اقتصادي، ومديونية، وفساد طاع، أنهك الأمة، وبدّد قواها وقدراتها.

وقد يتفق القارئ، أو يختلف، مع ما ذهب إليه المؤلّف من تحديد للمفاهيم، أو ما تبناه من مواقف أيديولوجية، ولكنّ أحداً لا يُنكر له موضوعيته في طرُق المسائل وتحليلها ونقدها. ولسوف تبدو آراؤه أكثر وضوحاً إذا ما قرأنا النصّ في مناخ تأليفه، وسنة إصداره، وإذا ما أخذنا بنظر الاعتبار الأجواء السياسية والفكرية، في زمن كلّ

(٢) من الدراسات الجادة في هذا الموضوع، ما كتبه راجي الفاروقي بالإنكليزية ونشره في أمستردام في هولندا في العام ١٩٦٢، وقد ترجم الكتاب الأول (من أصل أربعة أجزاء) إلى العربية بعنوان: **العروبة والدين**. نقلاً عن: علي عيسى عثمان، «ما هي العروبة؟»، في: **قراءات في الفكر القومي**، سلسلة التراث القومي، ٥ ج، ط ٢ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩)، ج ١: **القومية العربية: فكرتها ومقوماتها**، ص ٥٦٦ - ٥٧٢.

الإسلام والعروبة صلة وثيقة جداً، ولكننا لا نقرّه على أنهما اسمان لمسمى واحد» (ص ٨٣٤).

ولا يعني القول بفصل العروبة، في كيانها السياسي المتمثل بالدولة الحديثة، عن الدين، اختلاف (فارس) بالنظر، عمّا عرفناه في كتابات معاصريه من رواد الحركة القومية، فهو، كما ساطح الحصري وميشال عفلق وزكي الأرسوزي وقسطنطين زريق، يرى في الإسلام ما يتجاوز مفهوم الدين إلى الانقلاب الشامل في حياة العرب، فهو صعود بالعروبة إلى مرحلة جديدة في حياة المجتمع العربي. والإسلام عند هذا الرعيل المؤسس، يشكل حدثاً تطويرياً وإنسانياً، وقد كان في حضوره الأول عربياً، وكان في مراميه المثالية إنسانياً، ممّا يعني أنه حدث بينه وبين العروبة علاقة وجود.

لكن (فارس) يذهب إلى اعتبار العروبة مُفصحة عن الانتماء العربي، لأن «العرب أمة متميزة بمقوماتها الأساسية عن الأمم الأخرى...» (ص ٨٣٤)، كما أشرنا، وإلى اعتبار الإسلام ديناً أُممياً، يقدر - باستمرار - أن يرفد العروبة بنتاج شرائعه وقيمه. وحسب العروبة، عضداً، ما رفدت الإسلام، في أول عهده، بجسدها الذي امتلك مقومات البطولة والخصال الأصيلة.

#### - ٤ -

ويقتن بالعروبة عند (فارس) قيام «العروبة - الدولة»، أو الكيان السياسي القائم على تحقق العروبة التقدمية، السمحاء. وفي هذا الصدد، يتقدم المؤلف أكثر باتجاه تعزيز مفهوم العروبة، وجعله،

علمي أن العرب لم يدخلوا في التاريخ إلا تحت راية الإسلام. غير أن الذي ساروا تحت الراية ونصبوها في ثلاث من قارات الأرض الخمس كانوا مسلمين وغير مسلمين» (ص ٩٦).

ويمكن أن نبني على هذا أن العروبة تحيل إلى القومية، وأن الإسلام يحيل إلى الدين. وبالتالي، فالعروبة (= القومية) تنفصل عن الإسلام (= الدين).

بتعبير آخر، تنسحب «العروبة» مصطلحاً ومفهوماً، على الشعوب العربية، جميعاً، لتشكل معنى الهوية، والانتماء، وبالتالي فالعروبة «تقوم على الاعتقاد أن العرب أمة واحدة، تتميز من سواها بصفات أساسية خاصة. وهي تدعو إلى الوحدة العربية، وترغب في إقامة الدولة على أسس عصرية علمانية، مستقلة عن الدين» (ص ٨٤٦).

فالعروبة، وفق ذا، ليست مرادفة للإسلام، ولكنهما (يتفقان) «على أمور كثيرة ويختلفان على أخرى» (ص ٨٤٦). ويضيف، فيقول: «أُثبت بيقين وغبطة أن العرب في أكثر أنحاء بلادهم قد اختاروا السعي نحو فصل الدين عن الدولة، والعمل والعيش معاً، ضمن العروبة، على اختلاف مللهم ونحلهم، وتركوا النزاع على جغرافية السماء للاهوتيين والمتكلمين» (ص ٣٥). وفي معرض ردّه على دراسة لجوزف شاخت (أستاذ العربية والإسلاميات في جامعة كولومبيا في نيويورك)، إذ «حاول أن يبين أن العروبة والإسلام هما مترادفان لمعنى واحد» و«التدليل على أن الإسلام والعروبة وحدة لا تنفك ولا تتجزأ» (ص ٨٣٤)، يقول (= فارس): «ونحن نقرّه على أن بين

ضمناً، بدلاً من اعتماد قومية الدولة العربية، أو كأنه يرغب في التوسع بمصطلح «العروبة»، باعتباره مفهوماً حضارياً وكياناً سياسياً في آن. وهو يستغرق مصطلح «القومية» بدعوى أنه «لا توجد، في الحقيقة، حركة قومية واحدة في البلاد العربية موحدة الغايات والأساليب، إنما هنالك تيارات قومية تشترك في أشياء وتختلف في أشياء..» (ص ٢١٣). وهذه القومية أو «الحركة العربية» لا تعدو أكثر من «رد فعل للحركة الطورانية التي حاولت أن تصهر جميع عناصر الدولة العثمانية في بوتقة التتريك، وإلى حدٍّ أقلٍّ إبرازاً للمعنى القومي، وحجاً للثقة عن الفكرة الإسلامية، كما رفع لواءها دعاء «الجامعة الإسلامية»، فقامت الجمعيات السرية تذكي الروح العربية، وتدعو إلى بعث عربي يُعيد مجد العرب..» (ص ٢٩٥).

فالعروبة في مآلها، هي والوحدة صنوان، وهي الوطن العربي المستقل الموحد، جوهرها تقدمي، وهي ضد العنصرية والشعبوية والإقليمية، وما يلحق بها من عاميات. وهي عروبة قوامها معرفة اللغة والتربية التاريخية؛ ركناً للوحدة الصالحة، الفعالة، و«دون تلك المعرفة تمسخ الوطنية إلى تعصب، وبها تستحيل إلى قوة نفسانية تجمع شتات القوم..» (ص ٩٨)، فالعروبة، وفق ذا، أوسع بكثير من أن تُرى بمنظار القومية، وأوسع بكثير من أن تُرى بمنظار أيديولوجيا معينة. لقد عرف (فارس) كيف يعيش في العروبة على امتداد تاريخها، ويستنبط من طبيعة العروبة، نفسها، القيم والمفاهيم التي يسترشد بها في منهجه.

ضمناً، بدلاً من اعتماد قومية الدولة العربية، أو كأنه يرغب في التوسع بمصطلح «العروبة»، باعتباره مفهوماً حضارياً وكياناً سياسياً في آن. وهو يستغرق مصطلح «القومية» بدعوى أنه «لا توجد، في الحقيقة، حركة قومية واحدة في البلاد العربية موحدة الغايات والأساليب، إنما هنالك تيارات قومية تشترك في أشياء وتختلف في أشياء..» (ص ٢١٣). وهذه القومية أو «الحركة العربية» لا تعدو أكثر من «رد فعل للحركة الطورانية التي حاولت أن تصهر جميع عناصر الدولة العثمانية في بوتقة التتريك، وإلى حدٍّ أقلٍّ إبرازاً للمعنى القومي، وحجاً للثقة عن الفكرة الإسلامية، كما رفع لواءها دعاء «الجامعة الإسلامية»، فقامت الجمعيات السرية تذكي الروح العربية، وتدعو إلى بعث عربي يُعيد مجد العرب..» (ص ٢٩٥).

فالعروبة في مآلها، هي والوحدة صنوان، وهي الوطن العربي المستقل الموحد، جوهرها تقدمي، وهي ضد العنصرية والشعبوية والإقليمية، وما يلحق بها من عاميات. وهي عروبة قوامها معرفة اللغة والتربية التاريخية؛ ركناً للوحدة الصالحة، الفعالة، و«دون تلك المعرفة تمسخ الوطنية إلى تعصب، وبها تستحيل إلى قوة نفسانية تجمع شتات القوم..» (ص ٩٨)، فالعروبة، وفق ذا، أوسع بكثير من أن تُرى بمنظار القومية، وأوسع بكثير من أن تُرى بمنظار أيديولوجيا معينة. لقد عرف (فارس) كيف يعيش في العروبة على امتداد تاريخها، ويستنبط من طبيعة العروبة، نفسها، القيم والمفاهيم التي يسترشد بها في منهجه.

وفي سبيل تمثل العروبة كياناً

تلك هي الأسس الفكرية للاستقلال السياسي، للعروبة - الدولة. أمّا أساسه المادي فالاستقلال الاقتصادي، وبونه يبقى الاستقلال السياسي خيالياً أو حلمًا (ص ١٠٠).

## - ٥ -

في العودة إلى المسائل التي عكست تفكير (فارس) في مرحلة محددة، من مراحل كتاباته، نتناول أبرز مسألتين؛ (الأولى) مقترحاته لحل القضية الفلسطينية. و(الثانية) حدود الوطن العربي، أو

## دولة الولايات العربية المتحدة.

ومن حق المؤلف، هنا، أن نشير إلى رؤيته للمسائل، في إطار المعطيات العامة المتوفرة، في ذلك الوقت، إضافة إلى إدراكه العميق لأبعاد المسائل المطروحة؛ ففي **المسألة الأولى** يرى أن الحالة الأخطر التي تواجه العالم الحر، هي كيف السبيل إلى حل مختلف مشكلات الشرق الأوسط المسندة كلها إلى مشكلة إسرائيل؟ وهو إذ يضع المسألة في موضعها في الخارطة السياسية الدولية، لا يرى حلاً لها حتى يحدث تغيير جذري في الطرائق التي يتبعها أولئك الساعون إلى حل.

وبشيء من البراغمية يعدّ خطوات محددة، يمكن التقدم بها، واحدة تلو أخرى، باتجاه اقتراح حل، يتكيف وواقع ما بعد النكبة، هي على التوالي: «التوصية بوضع قوة للأمم المتحدة، على كلا جانبي خط الهدنة لعام ١٩٤٩ بين مصر وإسرائيل، وكذلك بين إسرائيل والأردن وسورية ولبنان». و«تخلي إسرائيل عن سياسة التجميع، على حساب الدول المجاورة»، و«وجوب فعل شيء عملي في صدّد مشكلة اللاجئين العرب». وفي مقابل منح إسرائيل استخدام قناة السويس دون أي عائق، يجب أن تتخلى للأردن عن النقب «فتزيل إذ ذاك الإسفين الذي فصل طوال الأعوام التسعة الماضية عرب الهلال الخصيب عن عرب وادي النيل» (ص ٥٥٣ - ٥٥٦).

وتشكّل **المسألة الثانية** نقاشاً خلافياً، لا يمكن فهمه إلا في إطار تنامي تصور الوطن العربي الواحد، وتحليل الواقع السياسي للخارطة العربية، عقب الحرب العالمية الأولى، وتداعيات الحرب

العالمية الثانية، فالمؤلف يرى في «الاتحاد: خير وسيلة إلى الوحدة» (ص ٣٩٥). وهو يدعو إلى «اتحادي فدرالي» مراعاةً للوضع العربي «الراهن على علاقته»، و«أن نأخذ بعين الاعتبار ما للأسس الثقافية والاقتصادية من شأن عظيم في الوحدة أو الاتحاد، وأن نعمل على تعزيزها» (ص ٣٩٥).

ثم، يقترح لهذه الوحدات السياسية أن تكون في توزيع رباعي، هو: **الهلال الخصيب**، وينتظم وادي دجلة والفرات وسورية الطبيعية (= العراق والكويت وسورية والأردن وفلسطين] بعد أن تحرّر من المغتصب[.... ويستحسن أن يستثنى لبنان.. (ص ٣٩٦)، وشبه الجزيرة العربية، وتشمل العربية السعودية واليمن والمشيخات المعروفة بالمحميات (= البحرين وقطر ومشيخات الساحل المهادن وسلطنة مسقط وعمان، ومحمية عدن ومستعمرة عدن) (ص ٣٩٦)، و**وادي النيل**، ويشمل مصر والسودان والمملكة الليبية، و**المغرب الأقصى**، ويشمل مراكش والجزائر وتونس.

ويتبع ذلك، كما يرى المؤلف «قيام اتحاد فدرالي بين هذه الوحدات، تنبثق منه **الولايات العربية المتحدة**» (ص ٣٩٥)، وهذه الولايات - برأيه - هي «الدواء للداء، والوسيلة المثلى لتحقيق الوحدة العربية التي كانت ولا تزال منتهى آمال العرب» (ص ٣٩٦). و«يستدعي النظام الفدرالي، هذا، الحكم الجمهوري، فتستبقي كل ولاية استقلالها الذاتي، ومجالسها النيابية، ومحاكمها، وكل ما يتعلق بشخصيتها المستقلة. و«أما الرئيس

حديثاً في إطار رابطة قومية وأخوة إنسانية، كما بدا تأثره بأفكار إسعاف النشاشيبي (١٨٧٩ - ١٩٤٨) المنادي بإعلاء دور العقل، مفتاح التقدم والحضارة. لقد شكّل هؤلاء الرواد، وسواهم من المثقفين الفلسطينيين قاعدة معطيات فكرية أثرت المؤلف في بحوثه عن العروبة والعلمانية والقومية والتجديد.

**الثانية:** ولسوف نتفتّح كِمَام الأفكار في الثلاثينيات، في رحاب الجامعة الأميركية، في بيروت، إذ تعرّف (فارس) إلى كوكبة من القوميين المثقفين، ممن أخلصوا للعروبة، وشغفوا بالفكرة القومية، فغدا (فارس) مشروع كتابة، جاهزاً، من حيث التعبئة في الفكر العروبي، لكنه أثر استكمال مسيرته العلمية في جامعة برينستون الأمريكية، ليتقرّى - عن كتب - مفاهيم الديمقراطية، والفكر السياسي الليبرالي، وليتلمّس بالدربة والمران جدوى مناهج البحث العلمي الرصين. وما إن عاد إلى بيروت حتى شرع في الكتابة، مستجيباً لطباع المؤرّخ، الذي يتبع الوقائع، أكثر من حراكه في العمل السياسي الجماهيري، أو التنظيمي، و«ذلك بعكس د. قسطنطين زريق (زميله في التعليم في الجامعة الأميركية) الذي كان له في مرحلة من المراحل دور تنظيمي من ناحية، وكان يُعتبر الأب الروحي لحركة القوميين العرب، من ناحية أخرى» (ص ٨).

لقد انعكست هذه المؤثرات في شخصية (فارس) الكاتب، وتحدّث مواقفه، فكان صريحاً، جريئاً، يتلاقى مع عدد من التيارات الفكرية، ويختلف مع عدد آخر؛ فقد تلاقى مع «البعث» في قضايا كثيرة، ولا سيما الفكرة القومية، وضرورة إحياء مجد العرب، وكرّس، بعيداً عن التوافقية أو

فينتخبه الجميع انتخاباً مباشراً، وتقام محكمة عليا للسهر على حقوق الأفراد والولايات ولحراسة الدستور» (ص ٣٨).

## - ٦ -

لا يمكن لهذه القراءة الأولى، إلا أن تقتصر على مسائل عدة، كان أبرزها مفهومها «العروبة» و«دولة الاتحاد»، باعتبارهما رؤية محددة، تستحق مزيداً من الدرس.

ونخلص إلى رصد ست ملاحظات، نطرحها، على أمل متابعة البحث فيها، وفي ما جاء من معلومات كثيرة وغنية في هذا السّفر الثمين:

**الأولى:** تعكس كتابات (فارس)، في كثير منها، ولا سيما صلاصة المعتقد القومي، وعشق الحرية، وإعلاء مكانة العقل في بناء المجتمع، ثقافة نشأته الأولى في فلسطين. فإنّه من قبيل صدق طباعه، ونبل خلقه، بقي وفيّاً لجذوره، فقد انزعج في أعماقه فكر رواد النهضة الفكرية الفلسطينية الصاعدة في تلك الفترة؛ حيث المَعْلَم البارز في الحقلين السياسي والثقافي الذي تشكّل منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى ثلاثينيات القرن العشرين، الذي قام على قاعدة الفكر العلماني: القومية العربية، والتحرر الوطني، وتحديث الفكر، ولا سيما اللغة ومناهج التعليم.

لقد تأثر (فارس) بمفاهيم الحرية التي أطلقها روجي الخالدي (١٨٦٤ - ١٩٤٣)، باعتبارها طريق الإنتاج والعمران والتقدم، وبأفكار خليل السكاكيني (١٨٧٨ - ١٩٥٦) الداعية إلى رفض التعصّب، علّة تخلف العرب، والدعوة إلى بناء مجتمع جديد قائم على أسس اجتماعية ومُثُل اجتماعية

فنحن إذن واضعون جداً في هذه النقطة. الوحدة العربية هي قبل كل شيء نضال ووحدة في النضال...»<sup>(٤)</sup>.

أما «الاتحاد» فلا يعدو فكرة نظرية، وليست عملية، كما أنها فكرة تدل على نوع من المسيرة والاستسلام<sup>(٥)</sup>.

**الرابعة:** يستوقفنا ما ذكره المؤلف عن «تثبيت الحكم البلدي، في جميع مدن الأقطار العربية وقراها...» كأحد العوامل الواجب اعتمادها في سبيل تمثّل العروبة كياناً سياسياً، فهو مشهد ديمقراطي عاشه المؤلف وثقفه، ورأى نجاح واقعه الإداري في أمريكا، حيث استقلال البلدية، وممارسة دورها الدستوري يشكل المبدأ الذي ما زال قواماً لمبدأ الحرية في الحياة الأمريكية الحاضرة، يلد وينمو، وحيث تكون كل ولاية بمثابة هيئة متحدة، لها وجود ذاتي، وحقوق مدنية، قائمة بذاتها.

إن من يطالع على ما كتبه (فارس) في هذا الخصوص لا يعدو كونه أمنية منه، في نقل تلك الصورة الأمريكية، للنظام البلدي، إلى وطنه، إيماناً منه بضرورتها وجودها في الإصلاح الداخلي<sup>(٦)</sup>.

**الخامسة:** ما سجّله في حق اللغة العربية من إيمان بأصالتها، وإعجاب بميزاتها ووظائفها، حيث جعلها مع التربية

البراغماتية، مسألة فصل الدين عن الدولة، كما تميّز من سواه بمسألة سبق العروبة على القومية، واعتبار المسار القومي مندرجاً في فلسفة العروبة وثقافتها.

**الثالثة:** لقد تمايزت كتابات (فارس) من أدبيات «البعث» في خارطة الدولة الواحدة، من حيث المصطلح والمقومات ومراحل الاتحاد، وكذلك السبل الآيلة إلى الوحدة أو الاتحاد؛ فقد اعتقد (فارس) أن الوحدة التامة لا يمكن أن تتحقق دفعة واحدة. وما دامت لا تتحقق طفرة واحدة، فلا بد لها من وسائل ومراحل، تأتي في مقدمتها إقامة اتحادات بين قطرين أو أكثر من الأقطار العربية، في مسعى إلى تقليل عدد الكيانات.

ولعل المسوَّغ في هذا الاتجاه أن الدعوة ضمن هذا الواقع، لن تلقى من الحكّام الذين يسيطرون على القرار السياسي مقاومة ضارية، باعتبار أنها لن تنسف مصالحهم ونفوذهم.

ولسوف تشكّل هذه الدعوة أبرز المسائل الخلافية مع حزب البعث، الذي وإن كان يقرّ «بأن الوحدة تتحقق على مراحل»<sup>(٣)</sup> إلا أنه يدعو جازماً إلى «الوحدة» عن طريق «النضال الموحد»، وهذا ما يريد السياسيون أن يغفلوه لأنهم لا يريدون الوحدة، لأنها تقضي على زعاماتهم (...).

(٣) ميشيل عقل، في سبيل البعث، ط ٢٠ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٨)، ص ٢٤٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٥٠.

(٥) انظر: شبلي العيسمي، «حول الوحدة والاتحاد»، في: قراءات في الفكر القومي، ج ٢: الوحدة العربية، ص ١٦٦ وما بعدها.

(٦) انظر في هذا الصدد: ألكسي دوتوكفيل، حول الديمقراطية في أمريكا، ترجمة أنطون غطاس كرم، ص ٥ (بيروت: دار النهار، ٢٠٠٦)، ج ١، ص ٥٠. وصدر هذا الكتاب بالفرنسية تحت عنوان: Alexis de Tocqueville, De la démocratie en Amérique, 4 vols. (Paris: C. Gosselin, 1835-1840).

اللغة «لا يجوز الخلط بينها وبين اللغة الكلاسيكية» (ص ٥١٢)، ويكون بهذا قد سبق الكثيرين في نشر مصطلح «اللغة الثالثة» أو «الفصيحة» تمييزاً لها من الفصحى؛ فهي «اللغة العربية الصحيحة للصحف... و(هي) محكية على الراديو، كما إنها تستخدم بشكل كامل عبقرية اللغة العربية من أجل ابتكار كلمات جديدة، واستيعاب كلمات أجنبية ليس بالإمكان إيجاد مرادف عربي لها» (ص ٥١٢).

**السادسة:** في قراءة أفقية، تتبّع المفهوم الواحد، نلاحظ تطوراً في بعض المفاهيم الأساسية، في فكر المؤلف، ونختار من ذلك مثلاً واحداً، على ذلك:

أ - في كتاب **العرب الأحياء** (صدر في العام ١٩٤٨) يجعل (المؤلف)، حدود العروبة «من خليج فارس إلى وادي النيل» (ص ٦٥)، في شيء من عمومية التسمية، وإسقاط أقطار عربية أخرى من خارطته.

ثم يوضح الجغرافية السياسية لمصطلح «الوحدة الفدرالية»، التي تضم «في بادئ الأمر»: «العراق وسورية ولبنان ومصر، كولايات على النمط الأمريكي. على أن تنضم إليها فلسطين، عندما يرتفع عنها كابوس الاستعمار، وشرقي الأردن، والمملكة السعودية واليمن متى استقرّ بها الحكم الشعبي» (ص ٣٨).

ب - وفي كتاب **دراسات عربية** (صدر في العام ١٩٥٧) يرى أن الوطن العربي «يتكوّن من مجموعتين من الأقطار في القارتين الآسيوية والأفريقية، فالأقطار العربية الآسيوية تنقسم إلى ثلاث مناطق رئيسية، هي: منطقة وادي دجلة والفرات ومنطقة سورية الطبيعية وشبه الجزيرة

التاريخية تراثاً ثقافياً، لا بد من ترقّيته، وهو ملحظ رأيناه في فكر زكي الأرسوزي، وساطع الحصري، وأدبيات البعث. وكان المستشرق غب (Gibb) قد جعل ذلك في تعريفه لكلمة «عرب»، إذ قال: «العرب كل من يعتبرون رسالة محمد وذكرى الإمبراطورية العربية، الحقيقة المركزية في التاريخ، بالإضافة إلى إعزازهم اللغة العربية، وتراثها الثقافي، واعتبارهما ملكهم المشترك» (ص ١٩٥، الهامش (١)).

وهي، برأيه، كما عند الأرسوزي «كانت، ولا تزال، أعظم العوامل الفعّالة في توحيد العرب، وأبعدها أثراً في جمع شملهم...، وهي العامل المشترك بين جميع الأقطار العربية على اختلاف اللهجات» (ص ٢١١).

ثم، إن المؤلف يقيم صلة وثيقة بين اللغة والعروبة، إذ يرى أن العروبة قامت على أساس لغوي ثقافي. وهذا يعني أن «العربية» شكّلت تاريخياً القاسم المشترك الذي أدى إلى بدايات الوعي العربي، وذلك حتى قبل ظهور الإسلام. ومن هنا اعتباره الهوية العربية أو هوية العروبة شأناً حضارياً ثقافياً، وليس شأناً إقليمياً أو دينياً، فـ «العربية» غدت - عدا كونها رابطة أساسية - قاعدة انتماء، وغدت الثقافة العربية - الإسلامية، المكتوبة باللغة العربية، محتوى هذا الانتماء.

وقد أضاف إلى ما سبق ملحظاً لغوياً، مهماً، إذ فرّق بين ثلاثة مستويات لغوية؛ فجعل العامية في إطار المستوى التداولي، المحكي، وجعل «اللغة العربية الأدبية» القاسم المشترك لمختلف اللغات العامية العربية، وهي لغة تقوى وتنمو بفعل انتشار المدارس والمعاهد والصحافة والإذاعة. وهذه



ستبقى المسائل التي سيقت في هذا الكتاب الجامع، كثيرة جداً، وفيها ما يدفع إلى النقاش دفعاً حثيثاً، وفيها من القبول والخصومة ما يجعل الحديث موصولاً. ولا غرابة في هذا، فالسنوات التي استغرقها الكتاب غنية بالتحوّلات والظواهر والأحداث. لكن يبقى (نبيه أمين فارس) ذلك المفكّر، المؤرّخ، الذي عرف طعم العروبة حلواً ومرّاً، فقد كان شاهداً على عصر مفعم بالصراع والتحدي □

العربية؛ والأقطار العربية الأفريقية تنقسم إلى منطقتين رئيسيتين هي: منطقة وادي النيل ومنطقة بلاد المغرب» (ص ٣٩٥).

وبالمقاربة بين (أ) و(ب) نلاحظ في (ب) توسعاً في الخارطة، اشتمل على «منطقة بلاد المغرب»، ووضوحاً في تحديد وحدات الكيان، مع تأكيد مصطلح «الولايات المتحدة العربية» تنويجاً للاتحاد الفدرالي.



متوفر لدى موزع مطبوعات مركز دراسات الوحدة العربية في مملكة البحرين،

الشركة العربية للوكالات والتوزيع

(شارع السلمانية، ١٧١ بناية الشيخ راشد،  
ص. ب: ١٥٦، المنامة - البحرين، هاتف ٣٩٨٢٨٦٦)

● من منشورات المركز والمطبوعات التي يوزعها،

الكتب التالية:

- ثورة ٢٣ يوليو/ تموز: قضايا الحاضر وتحديات المستقبل.
- الأبعاد الاجتماعية لإنتاج واكتساب المعرفة.
- الأصوات المهمّشة: الخضوع والعصيان في ليبيا أثناء الاستعمار وبعده.
- حقوق الإنسان في الوطن العربي
- تقرير المنظمة العربية لحقوق الإنسان، ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩
- ساطع الحصري: الدين والعلمانية
- جدلية نهج التنمية البشرية المستدامة
- أوراق في التاريخ والحضارة: أوراق في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي.
- أوراق في التاريخ والحضارة: أوراق في علم التأريخ.
- الأمن الغذائي العربي (مقاربات إلى صناعة الجوع).
- لماذا انتقل الآخرون إلى الديمقراطية وتأخر العرب؟ دراسة مقارنة لدول عربية مع دول أخرى.